

تنبيهات مهمة

على

قرة العينين وتفسير الجلالين

تأليف

محمد بن جميل زينو

المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة

مع بعض تعليقات

الشيخ عبد الرزاق عفيفي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

تفسير الجلالين

دار الفتح

الشارقة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تنبيهات مهمة

على قرة العينين وتفسير الجلالين

مع بعض تعليقات
الشيخ عبد الرزاق عفيفي
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

تأليف
محمد بن جميل زينو
المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة

دار الفتح
الشارقة

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥م

موافقة وزارة الإعلام والثقافة
رقم :أع ش ١٩٨٢
تاريخ : ١٨/١٠/١٩٩٥م

الناشر
دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف المطبعة : ٣٢٢٣٠٨ ـ هاتف النشر : ٣٢٦٠١٨ـ ٦.
فاكس رقم: ٣٢٢٥٢٦، ٣٢٦٨٣٨ ـ ٠٦ ص. ب: ٢٣٤٢٤ الشارقة ـ إ.ع.م

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومَن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد فقد اطلعت على كتاب: (قرة العينين على تفسير الجلالين)للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان ، فوجدت فيه أخطاء علمية تتعلق بالعقيدة والأحكام وغيرها من الأمور المهمة فاتصلت بالمكتب الإسلامي ، وأعلمته بما وجدت في ذلك التفسير ، فكلفني أن أكتب له هذه التنبيهات ، وقال : إنه أوقف التوزيع ريثما يطلع على الأخطاء التي وقع فيها القاضي محمد كنعان ، لذلك كتبت هذه التنبيهات له وللمكتبات ولمن اقتنى الكتاب .

وأحب أن أنبه إلى أن الأخطاء التي أذكرها تقسم إلى قسمين:

أ - أخطاء وقع في تفسيرها الجلالان وسكت عنها القاضي كنعان ، فإما أن يكون موافقاً عليها أو لم ينتبه إليها ، وهي مهمة جداً لا سيما من كان عنده تفسير الجلالين

ب - أخطاء وقع فيها القاضي كنعان في التعليق على تفسير الجلالين.

وسأكتب رقم الصفحة التي توجد فيها الأخطاء وأذكر ماقاله الجلالان، والمعلق القاضي كنعان، ثم أذكر الصواب بعد ذلك، وطلبت من المكتب الإسلامي أن يُطلع القاضي كنعان على هذه التنبيهات، وقد استفدت من تعليقات الشيخ عبد الرزاق عفيفي على تفسير الجلالين، وعزوتها له.

علماً بأن جلال الدين السيوطي فسر النصف الأول من القرآن ، وجلال الدين المحلّي فسر النصف الأخير منه .

ورأيت من الإنصاف أن أذكر بعض التصويبات الجيدة والتعليقات المفيدة التي قام بها القاضي كنعان على تفسير الجلالين ، وسأذكرها في آخر الكتاب إن شاء الله بعنوان [التعليقات المفيدة في قرة العينين على تفسير الجلالين] ولي على بعضها ملاحظات.

والله أسأل أن ينفع بها المسلمين ، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم .

محمد بن جميل زينو
المدرس في دار الحديث الخيرية بمكة
١٠/٣/١٤١١ هـ

إثبات العلُو والساق لله تعالى

قال (المحلِّي) عن تفسير قول الله تعالى :

الصفحة
٧٥٥ - ﴿ءأمنتم من في السماء﴾ سلطانه وقدرته .

وهذا تأويل باطل من المحلي لا دليل عليه لم يعلق عليه القاضي كنعان. والصحيح أن الذي في السماء هو الله كما ذكر ابن الجوزي نقلاً عن ابن عباس.

(ولما سأل الرسول ﷺ الجارية أين الله؟ قالت في السماء)

« رواه مسلم »

ص
٧ - **ذكر المفسر (السيوطي) عند قول الله تعالى :**

﴿ثم استوى إلى السماء فسوَّاهن سبع سموات﴾«البقرة»

أي قصد ، ولم يُعلق عليه القاضي كنعان ، وهذا التفسير مخالف لما رواه البخاري في كتاب التوحيد حيث نقل عن مجاهد وأبي العالية : معنى :

﴿ استوى ﴾ : أي علا وارتفع

وقد اختار هذا التفسير الإمام الطبري في تفسيره، وردَّ غيره من التفاسير لمخالفته للغة العربية.

ص
٧٦٠ - **﴿يوم يُكشَف عن ساق﴾** هو عبارة عن شدة الأمر يوم

القيامة، ولم يفسر المحلّي بالحديث المتفق عليه :

«يكشف ربنا عن ساقه» «صحيح البخاري جـ٦/٢٧»

أقول: لم يعلق الشيخ محمد كنعان على هذا التأويل من (المحلّي)

ص
٧٦٠ - ﴿**فلا يستطيعون**﴾ تصير ظهورهم طبقاً واحداً.

ثم ذكر في الحاشية الحديث الذي بتر أوله فقال:

(وفيه قوله ﷺ : فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة . . الخ)

والحديث أوله: **(يكشِف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة)** «متفق عليه»

والحديث أورده البخاري عند تفسير قوله تعالى:

﴿**يوم يُكشف عن ساق**﴾ «سورة القلم»

وقد فعل مثله أيضاً الشيخ محمد علي الصابوني عند تفسير هذه الآية وبتر الحديث من أوله لئلا يثبت صفة الساق لله تعالى التي أثبتها رسوله ﷺ وهو خير مفسر للقرآن؛ فهل يجوز لمفسر أن يترك تفسيراً جاء عن الرسول ﷺ؟ بل ويتجرأ على بتره من أوله تبعاً لمذهب التأويل الفاسد؟!!

ومذهب السلف إمرار هذه الصفة على حقيقتها من غير تأويل وهي على ما تليق به بلا كيف كما قال الإمام مالك

لما سئل عن معنى قوله : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ فقال :

(الاستواء معلوم والكيف غير معقول والسؤال عنه [عن الكيفية] بدعة، والإيمان به واجب، أخرجوا هذا المبتدع)

أقول : كان مبتدعاً لأنه سأل عن الكيفية ، والكيفية لا يعلمها إلا الله ، لم يسأل عنها أحد .

إثبات اليدين والمجيء لله تعالى

ص ٦٠٤ - ذكر جلال الدين المحلِّي عند قول الله تعالى :

﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيدَيَّ ﴾ «ص آية ٧٥»

أي توليتُ خلقه، وهذا تشريف لآدم، فإن كل مخلوق تولى الله خلقه.

انتهى «سورة ص آية ٧٥»

أقول : لم يعلِّق القاضي كنعان على هذا التأويل وعدم إثبات اليدين لله تعالى كما هو ظاهر الآية. فإذا لم نثبت خلق آدم بيدي الله وقلنا كما يقول المحلِّي : (توليت خلقه فإن كل مخلوق تولى الله خلقه)فلم يبق لخلق آدم مزية على غيره، حيث خلقه الله بيديه من طين وصوَّرهُ ونفخ فيه من روحه، كما جاء في قوله تعالى :

﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين، فإذا سويته ونفختُ فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾
« ص : ٧١ - ٧٢ »

٨٠٧ ص - ذكر (المحلِّي) في تفسير قوله تعالى:
﴿وجاء ربك﴾ أي أمره.

أقول: لم يعلق الكنعان على هذا التأويل الباطل، حيث أوَّل المجيء للرب بمجيء أمره، وهذا إنكار لصفة المجيء. وعقيدة أهل السنة والجماعة أن نثبت ما أثبته الله لنفسه من غير تشبيه ونفوض كيفية الصفات إلى الله، فنقول: ﴿جاء ربك﴾ مجيئاً يليق بجلاله، لا تُشبهه مخلوقاتهُ لقوله تعالى:

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ «الشورى»

فقد نفى المثل والشبه عنه، وأثبت لِنفسه السمع والبصر وغيرها مِن الصفات الواردة في القرآن والأحاديث الصحيحة.

٣٧٩ ص - ذكر كتاب (قرة العينين على تفسير الجلالين) عند قوله تعالى: ﴿أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ وعدد الأسماء الموجودة في التفسير (٨٨) وقد نقص مِنها أحد عشر اسماً وهي: ﴿الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم﴾.



إثبات الوجه والعينين لله تعالى

٥٢٠ - قال المحلي في الجلالين عند قول الله تعالى:
﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ إلا إياه «القصص ٨٨»
﴿ويبقى وجه ربك﴾ ذاته «الرحمن ٢٧»
أقول: لم يعلق الكنعان على تفسير الجلالين، ولم يثبت الوجه.

قال أبو الحسن الأشعري في كتاب (الإبانة):
الباب السادس: الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين:
قال الله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾
وقال تعالى:
﴿ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام﴾
فأخبر أن له سبحانه وجهاً لا يفنى ولا يلحقه الهلاك.
وقال تعالى: ﴿تجري بأعيننا﴾ «القمر ١٤»
وقال تعالى: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾
«هود ٢٧»
فأخبر تعالى أن له وجهاً وعيناً لا تُكيَّف، ولا تُحَدُّ
«انتهى»

فأين الأشعرية المزعومة من إمام سلفي مُثبت مُنزه . . ؟
عساهم أن يرجعوا إلى كتابهم ، ويكونوا أشعريين حقيقة، وإلا فهي أشعرية مزعومة. « كتاب التوحيد »

قلت : ومما يدل على أن المراد بالآية (الوجه) حيث قال:
﴿ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام﴾
فجملة ﴿ذو الجلال والإكرام﴾ صفة لـ ﴿وجهُ﴾ لأنها مرفوعة.

فمن أثبت الوجه لله، والعين، واليد، وغيرها من الصفات الثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة فقد أثبت الذات، ولا عكس، فإن الجلال المحلي حينما فسر (الوجه) بالذات، لا يعني إثبات الوجه الذي يدل عليه اللفظ.

إثبات السمع والمحبة وعلُو الذات

٧٢٤ - ذكر المفسر المحلي عند تفسير قول الله تعالى:
﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوُركما إن الله سميع بصير﴾
« المجادلة ١ »

﴿إن الله سميع بصير﴾ عالم.

أقول : لم يعلق صاحب (قرة العينين) على هذا التفسير، مع أن الآية تدل على إثبات صفة السمع والبصر لله تعالى، وهناك آيات أخرى تثبت ذلك مثل قوله تعالى :

﴿قــال لا تخافــا إنني معكــما أسمــع وأرى﴾ «طـه ٤٦»

وغيرها من الآيات التي تثبت صفة السمع والبصر لله تعالى وكذلك السنة بينت صفة السمع لله تعالى في سبب نزول الآية التي ذكرها القاضي كنعان :

قالت عائشة : **(تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليَّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ ... الحديث)** «أخرجه البخاري تعليقاً وغيره»

٧٣٨ - ذكر المفسر (المحلي) عند قوله تعالى :

﴿إن الله يحب الــذين يقــاتلون في سبيله صَفــاً كأنهم بُنيان مرصوص﴾ « الصف ٤ »

﴿إن الله يحب﴾ يَنصرو يُكرم.

أقول : لم يعلق القاضي كنعان على هذا التأويل لصفة المحبة التي أثبتها الله لنفسه في هذه الآيات وفي غيرها كقوله تعالى : **﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾**

«البقرة ٢٢٢»

ولـو كان معنى ﴿يحب﴾ ينصـر ويكـرم لقـال: ينصـر، كقوله تعالى: ﴿ولَيَنصُرَنَّ الله من ينصره﴾ «الحج ٤٠»

وقد فسر الحافظ ابن كثير هذه الآية فقال:

فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته لعباده المؤمنين إذا اصطَفّوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى .. ثم ذكر حديثاً يثبت صفة المحبة لله تعالى وهو قوله ﷺ:

(إن الله يبغض ثلاثة، ويحب ثلاثة، وذكر من هؤلاء الثـلاثـة الـذين يحبهم: رجـل غزا في سبيـل الله خرج محتسبـاً مجاهـداً فلقي العـدو، فقُتـل، وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل) :

ثم قرأ **﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صَفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾** «أخرجه الترمذي والنسائي»

أقول: إن صفة المحبة والرضا، والغضب والبغض، وغيرها من الصفـات الـواردة في الكتـاب والسنـة، يثبتها أهل السنة والجماعة على ما يليق به سبحانه وتعالى من غير تشبيه ولا تأويل؛ وتفسير المحبة بالنصر من لوازمها.

٥٠ - قال المفسر السيوطي في الجلالين عند قول الله تعالى: **﴿وهو العلي العظيم﴾** العليّ فوق خلقه بالقهر.

أقول: لم يعلق القاضي عليه، والصحيح أنه العليُّ فوق خلقه بالقهر والمكانة والذات وهو على العرش كما أخبر.

الشيخ العفيفي يرُد تأويل المحَلّي

٧٥٤ - ذكر المفسر المحلي عند تفسير قوله تعالى:
﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾
« الملك ١ »

﴿ تبارك ﴾ تنزه عن صفات المحدَثين.
﴿ الذي بيده ﴾ في تصرفه
﴿الملك﴾ السلطان والقدرة
علق العفيفي على هذا التفسير الذي لم يعلق عليه الكنعان:
(١) هاهنا أمران : الأول عموم قدرة الله وكمال تصرفه في الكون بسهولة ويسر، وهذا مستفاد من كون الملْك بيد الله، والثاني ثبوت صفات ذات الله تعالى ، وهذا مستفاد من إضافة اليد إليه تعالى ، فكل من الأمرين حق مستفاد من الآية.
أما ما ذكر الشارح فمع ما فيه من تأويل اليد فراراً من إثبات صفة لله فيه اضطراب في العبارة، إذ تقدير الكلام على تفسيره: تنزه عن صفات المحدَثين الذي في تصرفه السلطان والقدرة، ولا شك أن السلطان

والقدرة ليسا في التصرف.

«انظر تعليق الشيخ العفيفي على تفسير الجلالين ص١٢٧»

عروج الملائكة إلى الله تعالى

٧٦٥ - قال (المحلي) في الجلالين عند قول الله تعالى:

﴿تعرج الملائكة والروح إليه..﴾ « المعارج »

﴿ تعرج الملائكة والروح ﴾ جبريل

(إليه) إلى مهبط أمره من السماء

علق العفيفي على هذا التأويل الذي لم يعلق عليه كنعان فقال:

هذا من تأويل المعطلة الذين نفوا علو الله بذاته على خلقه، وهو تأويل لا دليل عليه والصواب إثبات عروج الملائكة إلى الله نفسه..

أقول: هذه الآية دليل على علو الله تعالى، والأدلة كثيرة.

الأصنام تمثل رجالاً صالحين

٧٦٩ - قال المحلي في الجلالين عند قول الله تعالى:

﴿وقالوا لا تذرُن آلهتكم، ولا تذرن وَدّاً ولا سُواعاً ولا

يَغوث ويَعوق ونَسرا﴾ ﴿ نوح ٢٣ ﴾
هي أسماء أصنامهم .

أقول : لم يعلق كنعان على هذا التفسير، ولم يبين أصلهم :
ذكر البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما في تفسير الآية فقال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلك أولئك أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تُعبَد، حتى إذا هلك أولئك، ونُسخ العلم عُبدت) « أي الأصنام »
وهذا التفسير الصحيح يوضح أن المشركين كانوا يدعون رجالاً صالحين اتخذوا لهم تماثيل على صورتهم .
وذكر البخاري أيضاً عن ابن عباس في قول الله تعالى :
﴿أفرأيتم الّلاتَ والعُزى﴾
قال : كان (الّلات) رجلاً صالحاً يلت سويق الحاج
« جـ ٦ / ٥١ »
وبعض المسلمين ـ مع الأسف الشديد ـ يدعون رجالاً صالحين متشبهين بالمشركين، وقد نهاهم ربهم عن هذا الشرك.

التفسير الصحيح لآية المبايعة

٦٧٩ - قال الله تعالى : ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يدُ الله فوق أيديهم﴾ « الفتح ١٠ »

قال المفسر (المحلي) في الجلالين:

﴿يد الله فوق أيديهم﴾ التي بايعوا بها النبي ﷺ إنما هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليه .

أقول : لم يعلق القاضي كنعان على هذا التفسير، وفيه تأويل لليد التي أثبتها الله لنفسه في هذه الآية، وذلك حينما قال (المحلي): (مطلع على مبايعتهم)

والصحيح أن الآية تفيد ما يلي :

١ - إثبات اليد لله تعالى على ما يليق به من غير تشبيه .

٢ - إثبات العلو لله عز وجل .

٣ - الله تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله ﷺ كما قال ابن كثير وغيره .

٤ - التشجيع والتأييد والنصر للمبايعين.

التفسير الصحيح لكلمة «جعلناه»

٦٤٧ - ذكر المفسر (المحلي) في الجلالين تفسير قول الله تعالى:

﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾

« الزخرف ٣ »

﴿ إنا جعلناه ﴾ إنا أوجدنا الكتاب

أقول: لم يعلق القاضي كنعان على تفسير الجعل بالإيجاد، وقد يفهم منه أن القرآن مخلوق وهذا خطأ، ولذلك فإن التفسير الصحيح للآية ما يلي:

﴿إنا جعلناه﴾ إنا أنزلناه (ذكره ابن كثير، وغيره)

وهذا التفسير له شاهد من القرآن، وهو قوله تعالى:

﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ «يوسف ٣»

فهذه الآية في سورة يوسف تفسير للآية السابقة في سورة الزخرف وخير ما يُفسَّر القرآن بالقرآن.



تنزيه الله وتنزيه أسمائه

٧١٧ - ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ «الواقعة ٧٤»

﴿ باسم ﴾ زائد. قال القاضي كنعان:

أي اذكر اسم ربك مسبحاً، وقيل: (باسم) زائد

أقول : الصواب أن (اسم) ليس بزائد، فإنه كما يجب أن يُنَزه الله عما لا يليق به، يجب أن تُنزه أسماؤه - التي سمى بها نفسه، أو سماه بها رسوله ﷺ - عن جحدها أو تحريفها عن مواضعها، وعن تعطيلها عما تضمنته من صفات الجلال والكمال، وعن تسميته بما لم يثبت عنه ولا عن رسوله ﷺ، فإن ذلك من الإلحاد فيها ، وقد حذرنا الله من ذلك في قوله:

﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يُلحدون في أسمائه، سيُجزَون ما كانوا يعملون﴾

« الأعراف »

« انظر تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي على الجلالين »

﴿ لا يَمسُّه إلا المطهرون ﴾

٧١٧ - قال المفسر المحلي في تفسير قول الله تعالى:
﴿في كتاب مكنون﴾ مكتوب مَصون وهو المصحف
﴿لا يَمسُّه إلا المطهرون﴾ « الواقعة ٧٩ »
﴿ إلا المطهرون ﴾ الذين طهروا أنفسهم من الأحداث.

أقول: لم يعلق القاضي كنعان على هذا التفسير الذي خالف فيه تفسير الصحابة والتابعين والمفسرين:

١ - ﴿في كتاب مكنون﴾ أي مُعَظم في كتاب محفوظ مُوَقر
« ذكره ابن كثير »

٢ - ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾
قال: الكتاب الذي في السماء
«مروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس»

٣ - ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ يعني الملائكة
« رواه العوفي عن ابن عباس »

٤ - ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾
قال قتادة: لا يمسه عند الله إلا المطهرون.
فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس، والمنافق الرجس.

٥ - وقال ابن زيد: زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسهُ إلا المطهرون كما قال تعالى:

﴿وما تنزَّلتْ به الشياطين، وما ينبغي لهم وما يستطيعون﴾ الشعراء ٢١٠ - ٢١١»

قال ابن كثير: وهذا القول قول جيد لا يخرج عن الأقوال التي قبله «جـ٤/ ٩٨»

٦ - قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي تعليقاً على تفسير (المَحلّي): أن الكتاب: هو المصحف لا يمسه المحدِث.

الصواب:

(أنه اللوح المحفوظ، والمطَّهرون: هم الملائكة).

والقصد بيان أن القرآن لا تصل إليه أيدي العابثين، فليس في الآية دليل على تحريم مَس المحدِث للمصحف والعمدة في ذلك الأحاديث إن صحت.

«انظر تعليقه على الجلالين من مطبوعات المعاهد العلمية في السعودية»

٧ - قال الشيخ محمد صالح العثيمين في الإذاعة:

لو كان المراد بقوله: **﴿إلا المطهرون﴾** الذين طهروا

أنفسهم من الأحداث لقال: ﴿إلا المتطهرون﴾ لأن الملائكة مُطَهَّرون ، وغيرهم الذين يصيبهم الحدث: مُتَطهِّرون من الحدَث.

دعاء المسألة والعبادة

٧٧٢ - ذكر المحلي عند تفسير قول الله تعالى:
﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ «الجن»
﴿ وأن المساجد ﴾ مواضع الصلاة
﴿لله فلا تدعوا﴾ فيها ﴿مع الله أحداً﴾(١)
بأن تشركوا كما كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا
علَّق العفيفي على أنواع الدعاء في الآية فقال:
(١) - يدخل في عموم ذلك دعاء المسألة: كالاستغاثة والاستعاذة ، ونداء المضطر لكشف ما به من ضر، كما يدخل دعاء العبادة كالنذر والزكاة وأعمال البر والصلاة والصوم. . « انظر تعليق العفيفي ص ١٤١ »
(٢) - أقول : وبعض المسلمين يتشبهون باليهود والنصارى بشركهم في معابدهم، فتراهم يطوفون حول قبر

الحسين في مسجد الحسين بالقاهرة، والطواف عبادة لا يجوز إلّا بالكعبة، وبعضهم يقيم احتفال المولد وغيره في المسجد، ويدعون غير الله، وهو من الشرك الذي يحبط العمل، قال الله تعالى:

﴿ولا تدعُ مِن دون الله مالا ينفعك ولا يضرك، فإن فعلتَ فإنك إذاً من الظالمين﴾ « يونس ١٠٦ »

(الظالمين : المشركين)



عموم مشيئة الله تعالى

٧٨٣ - قال المحلي عند تفسير قول الله تعالى:
﴿**وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما**﴾ « الدهر ٣٠ »
﴿ **وما تشاءون** ﴾ اتخاذ السبيل بالطاعة(١)
﴿**إن الله كان عليماً حكيماً**﴾ عليماً بخلقه، حكيماً في فعله(٢)

علق العفيفي على هذا التفسير - ولم يعلق عليه كنعان - فقال:

(١) - التعميم في متعلق المشيئة أنسب لحذف المفعول، والتقدير: وما تشاؤون شيئاً ما من خير أو شر إلا أن يشاء الله ويدخل في ذلك اتخاذ السبيل إلى الله بالطاعة دخولاً أولياً لدلالة ما سبق، وبذلك تدل الآية على ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من عموم مشيئة الله .

(٢) - الله حكيم في كل شؤونه، فهو حكيم في صنعه، وتشريعه، وجزائه، وقدَرِه، وكلامه إلى غير ذلك

«انظر تعليق الشيخ العفيفي ص ١٥٢»

معنى ﴿ ذو العرش ﴾

٦١٩ - ذكر السيوطي عند قول الله تعالى:

﴿رفيع الدرجات ذو العرش. .﴾ **الآية** «غافر ١٥»

أي الله عظيم الصفات، أو رافع درجات المؤمنين في الجنة.

﴿ **ذو العرش** ﴾ خالقه(١)

علق العفيفي على تفسير (خالقه) ولم يعلق كنعان :

(١) - الإضافة تشعر بأمر اختص به العرش دون العالم، والعرش ليس مما اختص به، فإن الله خالق كل شيء، فوجب أن يحمل ذلك على أنه صاحب العرش المستوي عليه بنفسه حقيقة استواء يليق بجلاله .

« المصدر السابق ص ٨ »



معنى استهزاء الله بالمنافقين

٥ - ذكر السيوطي عند قول الله تعالى:

﴿وإذا لقُوا الـذين آمنوا قـالوا آمنـا، وإذا خَلَوْا إلى شيـاطينهم قـالـوا إنـا معكم إنمـا نحن مُستهـزئون. الله يستهـزىء بهم ويَمُدهم في طُغيانهم يعمهون﴾

«البقرة ١٤ - ١٥»

﴿ الله يستهزىء بهم ﴾ يجازيهم باستهزائهم .

أقول : لم يعلق الكنعان على هذا التأويل الذي رده العلماء :

١ - قال الطبري : إن معنى ذلك أن الله أخبر عن المنافقين أنهم إذا خلوا إلى مرَدَتهم قالوا إنا معكم على دينكم في تكذيب محمد ﷺ وما جاء به، وإنما نحن بما نظهر لهم من قولنـا لهم مستهـزئـون، فأخـبر تعـالى أنـه يستهزىء بهم، فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا يعني من عصمة دمائهم وأموالهم خلاف الذي لهم عنده في الآخرة يعني من العذاب والنكال كما أظهروا للنبي ﷺ والمؤمنين في الدنيا ماهم على خلافه في سرائرهم

«تفسير الطبري جـ ١/ ١٠٣»

٢ - ثم ردَّ الطبري على القائلين بالتأويل فقال في تفسيره:

(وأما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره:
﴿الله يستهزىء بهم﴾، إنما هو على وجه الجواب، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة، فنافون عن الله عز وجل ما قد أثبته الله عز وجل لنفسه، وأوجبه لها. وسواء قال قائل: لم يكن من الله جل ذكره استهزاء ولا مكر ولا خديعة ولا سخرية بمن أخبر أنه يستهزىء ويسخر ويمكر به، أو قال: لم يخسف الله بمن أخبر أنه خسف به من الأمم، ولم يُغرق من أخبر أنه أغرقه منهم)

«انتهى من «جـ١/ ٣٠٥/ تحقيق أحمد شاكر»

٣ - ذكر الشيخ محمد صالح العثيمين في كتابه (القواعد المثلى) فقال ما نصه: (وإذا كانت الصفة كمالاً في حال ونقصاً في حال لم تكن جائزة في حق الله تعالى ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق؛ بل لابد من التفصيل: فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً، وذلك كالمكر والكيد والخداع ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها، لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد؛

وتكون نقصاً في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها كقوله تعالى:

﴿ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين﴾
«الأنفال ٣٠»

﴿إنهم يكيدون كيداً، وأكيد كيداً﴾ «الطارق ١٥»

ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه، فقال تعالى:

﴿وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله مِن قبلُ فأمكن منهم﴾ «الأنفال ٧١»

ولم يقل فخانهم، لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان، وهي صفة ذم مطلقاً.

وبذا عُرف أن قول بعض العوام: (خان الله من يخون) منكر فاحش يجب النهي عنه) «انتهى ص٢٠»



النبي سليمان لم يذبح الخيل

٦٠١ - ذكر (المحلّي) في تفسير قوله تعالى: ﴿**فقال إني أحببت**﴾ أي أردت (**حُب الخير**) أي الخيل (**عن ذكر ربي**) أي: صلاة العصر (**حتى توارت**) أي الشمس (**بالحجاب**) أي استترت بما يحجبها عن الأبصار (**ردوها علي**) أي الخيل المعروضة، فردوها (**فطفق مسحاً**) بالسيف (**بالسوق**) جمع ساق، (**والأعناق**) أي ذبحها وقطع أرجلها تقرباً إلى الله تعالى حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدَّق بلحمها ... الخ.

أقول : لم يعلق كنعان على هذا التفسير الذي ليس عليه دليل، وهو أن سليمان ترك صلاة العصر وعلق كنعان بقوله: (فتركها ناسيا) وكل هذا ليس عليه دليل، ولا سيما قوله: (**حتى توارت**) أي الشمس، وليس لها ذكر من قريب أو بعيد، والأهم من ذلك فسر قوله (مسحاً) بالسيف، وهذا مخالف لِلُّغة العربية، ومخالف للشرائع، إذ ليس لها ذنب حتى يذبحها ويقطع أرجلها. والصحيح أن نقول: إن سليمان كان يُجري استعراضاً عسكرياً للخيل وكان يحبها فلما مرت أمامه

أمر بإعادتها وردها، فجعل يمسح التراب والعرق عن أعناقها وسوقها من أثر الغبار والتراب كما يفعل الآن من عنده الخيل، وقد ذكر الشوكاني أن قوله (عن ذكر ربي) أي من ذكر ربي لأن (عن) تأتي بمعنى مِن

أقول : إن إعداد الخيل للجهاد هي من العبادات المطلوبة، وكانت لها منزلة كبيرة لذلك قال الله تعالى:

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم مِن قوة، ومِن رباط الخيل تُرهِبون به عدو الله وعدوكم . .﴾ « سورة الأنفال »

فتنة داود عليه السلام

٦٠٠ - ذكر القاضي كنعان في الحاشية تعليقاً على قول الله تعالى: **﴿وظن داود أنما فتناه . .﴾** «سورة ص ٢٤» فقال : أما الفتنة والاستغفار فنقول فيهما: إن دخول الشخصين عليه وهو في محرابه في غير مجلس القضاء هو اختبار له وامتحان لبيان ما إذا كان سيقضي بينهما أم أنه سيغضب عليهما ويطردهما لإفزاعهما له، ومخالفتهما آداب الدخول، ولكنه رغم فزعه منهما لم يؤنبهما ولم يعاقبهما . . . ثم بعد انصرافهما أدرك عليه السلام أن هذا كان فتنة وابتلاء فاستغفر ربه، ولا إشكال في

الاستغفار فإن استغفار النبي لا يلزم أن يكون عن ذنب أو معصية . . . الخ .

أقول : كلام الشيخ فيه نظر:

١ - إن قول المؤلف : (ولا إشكال في الاستغفار فإن استغفار النبي لا يلزم أن يكون عن ذنب أو معصية) يفهم منه أن داود عليه السلام لم يفعل شيئاً يستوجب الاستغفار وهذا يرده القرآن القائل : ﴿**وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخرَّ راكعاً وأناب**﴾ « ص ٢٤ »
ومعنى ذلك أن داود قد حصل منه شيء يستوجب الاستغفار ويستحق المغفرة، لذلك جاء التعقيب بقوله تعالى : ﴿**فغفرنا له ذلك**﴾ ولم يقل هذا عن سيدنا محمد ﷺ .

٢ - القول الصحيح : أن يقال: إن داود حكم للشخص الذي تكلم قبل أن يسمع من الشخص الآخر[1] وهذا

---

(١) يؤيده ما ورد من وصية رسول الله ﷺ لقضاته ألا يستعجلوا في الحكم حتى يسمعوا من الطرفين:
«**إذا جلس إليك خصمان فلا تقضِ لأحدهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنك إن فعلت ذلك تبين لك القضاء**) « حسن رواه أحمد »

الأقرب، وذكره الشوكاني في تفسيره.

ويمكن أن يقال: إن داود عليه السلام انقطع للعبادة، وتــرك الحكم ولـو بصـورة مؤقتـة ففسـدَت الـرعيـة، وحصلت الخصومات بين الناس، وهم بحاجة إلى من يحكم بينهم ويحل مشاكلهم، والدليل قوله تعالى بعد ذلك: **﴿ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق...﴾**

« سورة ص آية ٢٦ »

هل يجوز الرقص للرجال والنساء؟

٢٣٤ - قال القاضي كنعان: والرقص جائز للرجال على حده وللنساء على حده إذا لم يكن فيه تثنٍّ وتكسُّر، وإذا لم يرافقه محرم من آلات اللهو وغيرها، فإنه يكون بذلك حراماً، ودليل ذلك ما ورد في صحيح ابن حبان وغيره أن الحبشة (زَفَنُوا) أي رقصوا بين يدي رسول الله ﷺ. ومعلوم أن رقصهم هو: برفــع الـرجلين معـاً أو برفـع إحــداهما مع وضــع الأخــرى بالتنـاوب كما هي عادة الأفارقة ومثلها عادة «الدبكة» أو «العرضة» عند العرب حتى اليوم.

أقول : إن كلام القاضي هذا فيه نظر:

١ - أن استدلال القاضي بجواز الرقص للرجال على حدة، وللنساء على حدة بما ورد من الحبشة «زفنوا» أي : رقصوا بين يدي رســول الله ﷺ لم يكــن مجرد رقص كما قال، والدليل قول عائشة : (**والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي، والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله**) « رواه مسلم »

وقــال النــووي في شرحــه للحــديث: وفيـه جواز اللعب بالسلاح ونحوه من آلات الحرب في المسجد، ويلتحق به مافي معناه من الأسباب المعينة على الجهاد وأنواع البر.

«انظــر شرح مسلم جـ ٦/ ١٨٤»

أقول : وهذا اللعب بالسلاح كان في يوم العيد ، والدليل ما جاء في شرح مسلم للنووي عند إيراد هذه الأحاديث في أعلى الصفحة ما يلي :(**الرخصة في اللعب يوم العيد**)

٣ - وجاء في شرح النووي عند قول عائشة:

(**جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد**)

قولـه: يزفنـون: ومعنـاه يرقصـون، وحمله العلماء على التوثب بسلاحهم ولعبهم بحرابهم على قريب من هيئة الراقص، لأن معظم الروايات إنما فيه لعبهم بحرابهم،

فيتأول هذه اللفظة على موافقة سائر الروايات.

« انظر شرح مسلم للنووي جـ٦/ ١٨٦»

٤ - أقول : إن لعب الحبشة بسلاحهم يوم العيد أشبه بعرض عسكري لتدريبهم على القتال، واستعمال السلاح، ولو رجع القاضي كنعان إلى هذه الأحاديث وشرحها في مسلم لما قال بجواز الرقص للرجال على حدة وللنساء على حدة، وهو كلام لا دليل له.

٥ - أما قول المفسر القاضي بأن الأفارقة يرقصون بشكل معين، ومثلها عادة (الدبكة) فلا دليل على حلها. وأما العرضة إذا كان معها السيوف يلعب بها فهي جائزة إذا خلت من الطبول والدفوف، ومثلها المبارزة بين شخصين بالسيوف أو غيرها قياساً على لعب الحبشة بالسلاح.

٦ - إن قول القاضي بجواز الرقص يجر إلى أخطار:

أ - تشجيع الصوفية على المضي في رقصهم البدعي الذي لم يفعله رسول الله ﷺ وصحابته والتابعون والأئمة المجتهدون

ب - تشجيع الشباب على الرقص الذي قد يسبب انحرافهم وبعدهم عن الدين ، ولم يؤثر عن السلف الصالح أنهم كانوا يرقصون .

من أقوال الصاوي الشنيعة

١ - ذكر القاضي كنعان عن الصاوي قوله:

(ولما كان كتاب الجلالين من أجل كتب التفسير . . .
وجاءني الداعي الآلهي بقراءته، فاشتغلت به على حسب
عجزي . . .) انظر حاشية الصاوي. « صفحة ي »

أقول : إن قول الصاوي : (وجاءني الداعي الإلهي) ما هو المراد منه؟ هل هو وحي أو منام أو غير ذلك، فهذا التعبير لم يرد عن السلف الصالح، بل هو من تعبير الصوفية، ولاسيما أن الصاوي له كلام خطير فقد ذكر في حاشيته عند تفسير قوله تعالى:

﴿إن الله وملائكته يُصلون على النبي . .﴾ قوله:

[وهذه الآية فيها أعظم الدليل على أنه ﷺ صار منبع الرحمات، ومنبع التجليات] «جـ٣/ ١٨٧»

وهذا غلُو وإطراء لا يرضاه الله والرسول ﷺ، ولاسيما وقد نهى عنه ﷺ .

والأدهى من ذلك قول الصاوي: (ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب

الأربعة ضال مُضل، وربما أدى ذلك إلى الكفر، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة مِن أُصول الكفر»!

« جـ٣/١٠»

وقـد رد عليـه محمـد أمـين الشنقيطي في تفسيره، وبينَّ ضلاله وجهله.

أقول : كان على القاضي كنعان أن يحذر القراء مِن حاشية الصاوي لئلا يغتر به القراء.



الشنقيطي يرمي الصاوي بالجهل

لقد نقد العلامة محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان) الصاوي وبين ضلاله فقال عن كلام الصاوي المتقدم :

فانظر ياأخي رحمك الله ، ما أشنع هذا الكلام وما أبطله وما أجرأ قائله على الله ، وكتابه وعلى النبي ﷺ وسنته وأصحابه سبحانك هذا بهتان عظيم .

أما قوله بأنه لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة ولو كانت أقوالهم مخالفة للكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة فهو قول باطل بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم وإجماع الأئمة الأربعة أنفسهم ، كما سترى إيضاحه إن شاء الله بما لا مزيد عليه في المسائل الآتية بعد هذه المسألة . فالذي ينصره هو الضال المضل .

وأما قوله : إن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر ، فهذا أيضاً من أشنع الباطل وأعظمه ، وقائله من أعظم الناس انتهاكاً لحرمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

(جـ ٧ / ٤٣٨)



التعليقات المفيدة
في تفسير قرة العينين
على تفسير الجلالين



قصة داود عليه السلام

قال الله تعالى :

﴿وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تَسَوَّروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تُشطِطْ، واهدنا إلى سواء الصراط. إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفِلْنيها وعزَّني في الخطاب﴾ « سورة ص ٢١ - ٢٣ »

١ - ذكر صاحب تفسر الجلالين (المحلي) في تفسيرها ما يلي :

﴿إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف﴾ نحن (خصمان) قيل : فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل : اثنان والضمير بمعناهما، و (الخصم) يطلق على الواحد وأكثر، وهما ملكان جاءا في صورة خصمين، وقع لهما ما ذكر على سبيل الفرض لتنبيه داود على ما وقع منه.

٢ - ذكر القاضي تعليقاً على هذا التفسير فقال :

أ - قوله : (وهما ملَكان). قال القاضي : وهما رجلان خصمان حقيقيان أتياه في غير وقت القضاء ابتلاء.

وقيل: ملِكان.

ب - قول (المحلي): لتنبيه داود على ما وقع منه.

قال القاضي: إن ما ذكره المحلي هنا وغيره في كتب التفسير، وقصص الأنبياء من: أن داود عليه السلام أحب امرأة، وطلب من زوجها أن ينزل له عنها، إلى غير ذلك مما فيه ذكر للمرأة في هذه القصة باطل لا أساس له.

ومجمل ما قاله المحققون في تفسير هذه الآيات:

١ - إن الله تعالى ذكر قصة الخصمين بعد ثناء عظيم على داود عليه السلام، وعقب عليهما بثناء كبير.

٢ - إن الخصمين هما من بني آدم حقيقة على القول الصحيح لا من الملائكة.

٣ - إن الخلاف بين الخصمين كان على نعجة حقيقة لأنهما من رعاء الشاء وليس المراد هنا بالنعجة المرأة إطلاقا، لأن الأصل في الإطلاق الحقيقة، ولم يرد ما يصرفه عنهما.

٤ - أما (الفتنة) و(الاستغفار) فنقول فيهما:

إن دخول الخصمين عليه وهو في محرابه في غير مجلس القضاء هو اختبار له وامتحان، لبيان ما إذا كان سيقضي بينهما، أم أنه سيغضب عليهما، ويطردهما لإفزاعهما

له، ومخالفتهما آداب الدخول، ولكنه رغم فزعه منهما لم يؤنبهما ولم يعقابهما بل كظم غيظه واستمع إلى شكواهما وفصل بينهما، ثم بعد انصرافهما أدرك عليه السلام أن هذا كان فتنة وابتلاء فاستغفر ربه..

٥ - ثم قال : والغريب أن تخفى هذه الحقائق على بعض العلماء الذين أكثروا من نقل القصص الباطلة في حق الأنبياء كيوسف وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد (عليه الصلاة والسلام) وفسروا القرآن بما لا يقبله عقل سليم، فضلاً عن عدم ثبوته في كتاب أو سنة، من غير أن يبينوا ذلك للناس.

فخذ أيها المسلم حذرك، وعليك بما ذكرناه فهو الصواب بتوفيق الله تعالى. ٥٩٩ - ٦٠٠ "قرة العينين"

أقول : كل ما ذكره القاضي صحيح غير الذي ذكره من الاستغفار، وزعم أنه لا إشكال فيه قياساً على استغفار النبي محمد ﷺ ولا يلزم منه أن يكون عن ذنب أو معصية، وهذا القياس غير صحيح رددت عليه فيما سبق فعلى القارىء أن يرجع إليه في أول الكتاب ليعلم التفسير الصحيح لسبب الاستغفار.

التفسير الصحيح لفتنة سليمان

قال الله تعالى:

﴿**ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب**﴾
« سورة ص ٣٤ »

١ - قال (المحلي) في تفسير هذه الآية:

﴿**ولقد فتنا سليمان**﴾ ابتليناه بسلب ملكه، وذلك لتزوجه بامرأة هواها، وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه، وكان ملكه في خاتمه فنزعه مرة عند إرادة الخلاء، ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته، فجاءها جني في صورة سليمان فأخذه منها.

﴿**وألقينا على كرسيه جسداً**﴾ هو ذلك الجني، وهو (صخر) أو غيره، جلس على كرسي سليمان، وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سليمان في غير هيئته فرآه جالساً على كرسيه وقال للناس أنا سليمان فأنكروه.

﴿**ثم أناب**﴾ رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه .

٢ - قال القاضي كنعان على تفسير المحلي:

أ - ﴿**ولقد فتنا سليمان**﴾ ابتليناه بموت ولده على الصحيح.

ب -﴿**وألقينا على كرسيه جسداً**﴾ هو ولده المتوفَّى، وقيل إنه

ذلك الجني.

جـ - وقال القاضي على قول المحلي: إن سليمان جلس على كرسيه، فأنكره الناس (هذا كلام باطل)

د - ﴿ثم أناب﴾ رجع إلى الله تعالى، وقول المحلي: رجع إلى ملكه بعد أيام (هو باطل أيضاً)

هـ - وعلق القاضي كنعان في الحاشية فقال:

(١) قوله تعالى ﴿ولقد فتنا سليمان..﴾

إن ما ذكره المفسر المحلي وغيره في تفسير هذه الآية، خاصة ما جاء فيه من عشق امرأة كلام باطل لا يجوز اعتباره كما قال المحققون، ولقد وجهنا المعنى على أساس أن (الفتنة) هي ولده الميت، وأنه الجسد الذي أُلقي على كرسيه، وذلك أخذاً مما أخرجه البخاري والنسائي وغيرهما:

أن سليمان عليه السلام حلف لَيطوفَنَّ على نسائه لتحمل كل امرأة بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل (إن شاء الله) فلم تحمل منهن امرأة إلا واحدة جاءت بشق ولد. وهذا القول هو أقرب من حيث المعنى إذا أردنا التحديد - ولو كان بعض المفسرين على غيره - وتوقف بعضهم كأبي حيان؛ وأما الأقاويل الأخرى فاضرب بها عُرض الحائط لأنها غير ثابتة «ص ٦٠١ - ٦٠٢»

أقـول : ما ذكـره القـاضي كنعـان على المحـلي هو الصحيح، ولكن عليه ـ حينما أورد الحديث ـ أن يذكره بالنص:

قال ﷺ : (قـال سليـمان عليـه السـلام: لأطوفن الليلة بمائـة امـرأة تلد كل امـرأة منهن غلامـاً يقاتل في سبيل الله، فقـال له المـلَك: قل إن شاء الله، فلم يقـل، ونسي، فطـاف بهن، ولم تلد منهن إلا امـرأة نصف إنسان، وفي رواية: فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشِق رجل.

قال النبي ﷺ :

(لو قال: إن شاء الله لم يحنث، وكان أرجى لحاجته)

وفي رواية: ولو استثنى لولدت كل واحدة منهن غلاماً فارساً يقاتل في سبيل الله) «متفق عليه»

(معنى : بشق رجل: أي نصفه)

(معنى : استثنى : قال : إن شاء الله)



حقيقة قصة زينب

قال الله تعالى: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مُؤمِنة إذا قضى الله ورسولُه أمراً أن يَكونَ لهم الخِيرَةُ مِن أمرهم**﴾ « الأحزاب ٣٦ »

١ - قال المفسر (المحلي) في تفسير الآية:

﴿**لهم الخِيرَة**﴾ أي الاختيار ﴿**من أمرهم**﴾

خلاف أمر الله ورسوله

نزلت في عبدالله بن جحش وأخته زينب خطبها النبي ﷺ، وعَنى لزيد بن حارثة، فكرها ذلك حينما علما، لظنهما قبلُ أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضيا للآية:

﴿**ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً**﴾

« الأحزاب ٣٦ »

﴿**مبيناً**﴾ بيناً فزوَّجها النبي ﷺ لزيد، ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع في نفسه حبها .

٢ - قال القاضي تعليقاً على قول المحلي:

قوله : (فوقع في نفسه حبها .. إلخ)

تبع المحلي في هذا ما روي عن قتاده وجماعة من المفسرين منهم الطبري معتمدين في ذلك على رواية ضعيفة أخرجها ابن سعد والحاكم. والصواب: أن الله تعالى

أوحى إلى النبي ﷺ أن زيداً سيطلق زينب وأنه سيتزوجها بتزويج الله إياها، فلما شكى زيد إلى النبي ﷺ خُلُقها وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية: (**أمسِكْ عليك زوجَك واتقِ الله في قولك**) وهو يعلم أنه سيفارقها وسيتزوجها، وهذا هو الذي أخفاه في نفسه، فقد خشي أن يقول الناس: أمره بطلاقها ليتزوجها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من خشية الناس في شيء قد أباحه الله له.

قال القرطبي: وهذا القول أحسن ما قيل في تفسير الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين. وقال أيضاً: وما رُوي أن النبي ﷺ هَويَ زينب امرأة زيد فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا أو مُستخِف بحرمته.

وقال أبو جعفر النحاس: ليس ذاك من النبي ﷺ لَمَّ خطيئة ألا ترى أنه لم يؤمر بالتوبة ولا بالاستغفار.

انظر قرة العينين «ص ٥٥٥»

٣ - أقول: لقد وقع الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي فيما وقع فيه المفسر (المحلي)، وذكر في أحد كتبه، وأظنه كتاب (كبرى اليقينيات) حيث زعم أن الرسول ﷺ نظر إلى

زينب فأحبها، ثم قال: وما على رسول الله أن يحب؟!
وأذكر أنه قال: إن بعض العلماء راجعوه في هذه المسألة، وأن الحديث الذي اعتمد عليه ضعيف لا يصلح للاحتجاج؛ ولكنه أصر على خطئه، وسيتحمل مسئوليته في الدنيا والآخرة.

يوسف وامرأة العزيز

قال الله تعالى: ﴿ولقد همَّت به، وهَمّ بها لولا أن رأى بُرهان ربه﴾

«يوسف ٢٤»

١ - قال المفسر السيوطي في الجلالين:
﴿ولقد همَّت به﴾ قصدت منه الجماع.
﴿وهَمَّ بها﴾ قصد ذلك.
﴿لولا أن رأى بُرهان ربه﴾ قال ابن عباس: مُثِّل له يعقوب، فضرب صدره، فخرجت شهوته من أنامله.

٢ - قال القاضي كنعان تعليقاً على هذا التفسير:
قوله تعالى ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ الآية
دع عنك ما ذهب إليه السيوطي وغيره في تفسير هذه

الآية، ولا تلتفت إليه، ولا تعتمد عليه، لأنهم نقلوا من غير تحقيق وفسروا معتمدين على روايات لا يجوز الاعتماد عليها. وإليك خلاصة جُهدٍ يعلم الله تعالى وحده مداه بذلناه في تتبع تلك الروايات التي نُسجت حول قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، بحثاً عن تفسير صحيح لهذه الآية، لا يتعارض مع غيرها من الآيات، ولا يتناقض مع منزلة الأنبياء. ولكي تكون الصورة واضحة، فقد حددنا من الآية مسائل، ثم شرحناها، مراعين الأمور التالية:

١ - اختلف علماء اللغة في جواز تقديم جواب «لولا» عليها. فقال بعضهم: بالجواز، وعليه: فإن يوسف لم يهمَّ بها أصلاً. وقال آخرون: بعدم جوازه، وعليه: فإن يوسف قد همَّ بها كما سنبينٍ.

٢ - وأما قُراء القرآن، فقد اتفق جمهورهم على الوقف عند قوله تعالى:
﴿ولقد هَمَّتْ به﴾. إذ بهذا الوقف يتخلص القارىء من شيء لا يليق بنبي أن يَهمَّ بامرأة، وينفصل من حكم القسَم قبله، أي: ﴿ولقد﴾، ويصير ﴿وهَمَّ بها﴾، مستأنفاً، إذ الهمُّ منه منفي لوجود البرهان.

٣ - وأمامنا أيضاً روايات ـ ملفقة باطلة ـ قالت عن يوسف:

إنه حلَّ سراويله، وقعد منها مقعد الخائن، أو مقعد الرجل من المرأة، ثم امتنع بعد أن رأى والده يعقوب عاضاً على أصبعه يقول له: يوسف . . يوسف . . وغير ذلك من الإسرائيليات المردودة.

٤ - وأمامنا كذلك أقوال الذين فسروا هذه الآية بناء على تلك الروايات، ولم يُظهروا ما فيها من خلل، خِلافاً لِما هو الواجب. «أنظر قرة العينين للقاضي كنعان ص ٣٠٦»

مسائل مهمة تتعلق بيوسف

وبين أيدينا أقوال علماء آخَرين ، ممن تصدوا لتلك الأقوال والروايات بالمناقشة والتحقيق والبيان ، فمع ملاحظة هذه الأمور سنبحث في المسائل الآتية فنقول

أولاً: **(من هو يوسف؟)**

أخرج البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ: أيّ الناس أكرمَ ؟ . . قال:

(أكرمهم عندَ الله أتقاهم) قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: **(فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله)** الحديث . . يعني: ابن يعقوب بن إسحاق، بن ابراهيم، عليهم الصلاة والسلام.

هذا هو يوسف كما وصفه لنا رسولنا محمد ﷺ في هذا الحديث الصحيح. فهل يفعل أكرم الناس ما قيل في تلك الروايات إنه فعله مع امرأة العزيز؟. ثم ماذا قال العلماء فيها؟ . .

قال الشهاب الخفاجي في (شرح الشفا): وما وقع في القصص من حل السراويل وما بعده . . كذب لا أصل له. أ-هـ.

حتى إن الزمخشري في (الكشاف) ردَّها بشدةٍ ومثله فعل الرازي في تفسيره وقال الزمخشري :

ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم، وأحدهم حَدَقَة ـ أي: أوقحهم ـ وأصلحهم وجهاً. لقي بأدنى ما لقي به نبي الله، مما ذكروا، لما بقي له عرق يَنبض، ولا عضو يتحرك، فياله من مذهب ما أفحشه، ومن ضلال ما أبينه أ-هـ.

ونضيف إلى ذلك: أنه ليس في تلك الروايات ولا رواية واحدة مرفوعة إلى النبي ﷺ بل إن أقواها ما صححه الحاكم ـ وهو متساهل في التصحيح كما هو معلوم ـ موقوفاً على ابن عباس وبقية الروايات مروية عن بعض التابعين مثل: قتادة ومجاهد. فلا شيء منها يُقبل لا من حيث السند ولا المتن، لأنها تتعارض مع نص القرآن وعصمة

الأنبياء كما سنرى.

ثانياً: (حصول الهمّ منه). هذا على القول بعدم جواز تقديم جواب (لولا) عليها. فماذا قال العلماء في هذا الشأن؟:

قال الشهاب الخفاجي: ضمير ﴿هَمَّت﴾ لامرأة العزيز وضمير ﴿همَّ﴾ ليوسف.

«والهمُّ»: يكون بمعنى (العزم المصمم على أمر) وبمعنى (ميل طبيعي غير اختياري) وهمها بالمعنى الأول وهو: إرادتها الفاحشة. وهمه بالمعنى الثاني وهو غير مذموم بل هو ممدوح يؤجر عليه وبمثله قال القرطبي والقاضي عياض مضيفاً: أن هذا مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين وقد ذكروا معاني أُخرى لهمِّ يوسف منها ما في (شرح الشفاء) قيل: همَّ بضربها ودفعها حين أمسكتْهُ لكنه لم يفعل لأن الله تعالى أراه برهانه بأنه لو ضربها لثبتت عليه التهمة ولصدقوها في قولها بلا خلاف.

وأضاف الرازي هنا: أنه تعالى أعْلَمَ يوسف أنه لو همَّ بدفعها لقتلته أو: لكانت تأمر الحاضرين بقتله.

وأضاف القرطبي هنا أيضاً: إذ لو ضربها لأوهم أنه قصدها بالحرام فامتنعت فضربها. أ-هـ

وهذا التفسير أقرب لأذهان العامة، وينبغي التعويل عليه. وبه صوبنا الكلام في تفسير الآية

ثالثاً: (لم يحصل منه هَمّ أصلاً) وهذا على القول بجواز تقديم جواب لولا عليها. قال القاضي عياض: وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة. أن يوسف لم يهمّ وأن الكلام فيه تقديم وتأخير أي: لقد همَّتْ به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها. وبمثله قال الرازي وأضاف: وهذا لوجوب عصمة الأنبياء.

رابعاً: ما هو البرهان الذي رآه يوسف؟..

قال ابن كثير في تفسيره: ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك الذي ذكر في الروايات ـ فالصواب أن يطلق كما قال الله تعالى ؛ وبمثله قال القرطبي .

وذكر الرازي أربعة وجوه لمعنى البرهان أحدها: أنه (النبوة) المانعة من ارتكاب الفواحش أي: لو لم يكن نبياً لهمَّ بها كما همَّت به. فإذا أردنا أن نحدد للبرهان معنى، فإن حملَه على (النبوة) أسلم ما يُحمل عليه، وإلا فليترك المعنى مطلقاً كما صوبه ابن كثير يضاف إلى كل ذلك، أننا لو عدنا إلى آيات سورة يوسف لوجدناها متضافرة على أنه عليه السلام لم يفعل شيئاً غير لائق بدليل قوله تعالى: **﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾** فلم يستجب لمراودتها **﴿وغلّقت الأبواب﴾** لكي لا يهرب **﴿وقالت هَيت لك﴾** أي: تعالَ

وهلُم فقال فوراً (**معاذ الله**) أي: أعوذ بالله منكِ ومما أردته مني من الفاحشة.

وقول يوسف ﴿**هي راودتني عن نفسي**﴾

وقوله بعد ذلك ﴿**رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه**﴾ وشهادة الشاهد من أهلها التي جاء الواقع يؤيدها وقول العزيز لما رأى قميصه قُدّ من دُبُر

﴿**إنه مِن كيدكُن إن كيدَكن عظيم**﴾ ثم قوله ليوسف

﴿**يوسف أعرض عن هذا**﴾ وقوله لامرأته:

﴿**واستغفري لذنبك إنك كنتِ من الخاطئين**﴾

فلم يُوجه لوماً إلى يوسف مع أن القضية خطيرة تتعلق بامرأته... وهو عزيز مصر...

وقولها لنساء المدينة اللاتي لُمنها:

﴿**ولقد راودته عن نفسه فاستعصم**﴾ أي امتنع لعصمة الله له... وهذا يؤيد تفسير (**البرهان**) بالنبوة ثم قولها أخيراً ﴿**الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين**﴾ وقول النسوة جميعاً: ﴿**حاش لله ما علمنا عليه من سوء**﴾ ورفضه الخروج من السجن إلا بعد إعلان براءته وهذا ما حدث ثم استخلصه الملك لنفسه وجعله على خزائن الأرض. « انتهى كلام كنعان ص٣١٠ »

المرأة تبرىء يوسف

﴿قالت امرأة العزيز الآن حَصْحَصَ الحقُّ أنا راودته عن نفسه، وإنه لمن الصادقين. ذلك ليَعْلَم أني لم أَخُنْهُ بالغيب، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾.

﴿وما أُبرِّئُ نفسي إن النفس لأمَّارَةٌ بالسوء إلَّا ما رَحم رَبي إن ربي غفور رحيم.﴾ « يوسف ٥١ - ٥٣ »

- قال السيوطي :

﴿الآن حصحص﴾ وضح (الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) في قوله: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾، فأخبر يوسف بذلك[1] فقال: (ذلك) أي: طلب البراءة (ليعلم) العزيز (أني لم أخنه) في أهله (بالغيب) حال ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ ثم تواضع لله فقال: ﴿وما أُبرِّئُ نفسي﴾ من الزلل (إن النفس) الجنس (لأمارة) كثيرة الأمر (بالسوء إلا ما) بمعنى (مَنْ) (رحم ربي) فعصمه ﴿إني ربي غفور رحيم﴾

٢ - قال القاضي كنعان تعليقاً على هذا التفسير:

(١)- قوله: (فأخبر يوسف بذلك فقال)

إن جعل الآيتين ٥٢ و ٥٣ من كلام يوسف عليه السلام هو قول الطبري وبعض التابعين كمجاهد وسعيد بن

جبير والحسن البصري وغيرهم، ولكن سياق الآيات لا يؤيده.

قال ابن كثير: إن الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ولم يكن يوسف عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك وهذا هو القول الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام وهو الأقوى والأظهر ويكون المعنى: (**ذلك**) أي: اعترافي بهذا على نفسي (**ليعلم**) ليعلم زوجي ﴿**أني لم أخنه بالغيب**﴾ بفعل الفاحشة وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع، ثم قالت: ﴿**وما أبرىء نفسي**﴾

فإن النفس تهوى وتتمنى ولهذا راودته .

أقول: رجح ابن القيم أنه من كلام المرأة من وجوه:

الأول: أنه متصل بكلام المرأة وهو قولها:

﴿**ألآن حصحص الحق، أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين، ذلك ليعلم أني لم أَخُنه بالغيب، وأن الله لايهدي كيد الخائنين، وما أُبرىء نفسي....**﴾

الثاني: أن يوسف عليه السلام لم يكن حاضرا وقت مقالتها هذه، بل كان في السجن، والسياق صريح في ذلك .

الثالث: معنى قولها: ﴿ **ليعلم أني لم أَخُنه بالغيب** ﴾

أي قولي هذا وإقراري ببراءته: ليعلم (يوسف) أني لم أخنه بالكذب عليه في غيبته، وإن خنته في وجهه في أول الأمر . (تفسير القيم ص ٣١٦)

تنزيه القرآن عن دسائس الشيطان

قال الله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان، ثم يُحكم الله آياته والله عليم حكيم**﴾ «الحج ٥٢»

١ - قال المفسر المحلي:

﴿**ألقى الشيطان في أمنيته**﴾ قراءته ماليس من القرآن مما يرضاه المرسَل إليهم وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد

﴿**أفرأيتم اللاَّت والعُزى ومناة الثالثة الأخرى**﴾

بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ:

(**تلك الغرانيق العُلا وإن شفاعتهن لترتجى**) ففرحوا بذلك ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن فسُلي بهذه الآية.

٢ - قال القاضي كنعان على هذا التفسير:

قوله: (وقد قرأ النبي ﷺ)إلى آخره وما تبع ذلك من تفسير هو كلام باطل ما كان ينبغي للجلال المحلي أن ينقله هكذا من غير بيان فلقد اتفق جمهور العلماء على

أن قصة الغرانيق هذه باطلة متناً ولا أصل لها سنداً
قال ابن إسحاق: هي من وضع الزنادقة، وقال البيهقي غير ثابتة نقلاً ورُواتها مطعونون،وردها رداً شديداً القاضي عياض في (الشفاء) وأبو بكر ابن العربي، وابن كثير، والرازي وغيرهم أما الحافظ ابن حجر فقال: وإذا سلمنا أن لها أصلاً وجب تأويلها، وأحسن ما قيل في ذلك: أن الشيطان نطق بتلك الكلمات أثناء قراءة النبي ﷺ عند سكتة من السكتات محاكياً نغمته، فسمعها القريب منه فظنها من قوله وأشاعها، أ. هـ وهكذا وجه ذكره أبو جعفر النحاس في (ناسخه) قال: فألقى الشيطان هذا في تلاوة النبي ﷺ من غير أن ينطق به النبي ﷺ والدليل على هذا أن ظاهر القرآن كذا، وأن الثقات من أصحاب السير كذا يروون. أ. هـ ومما قاله البغوي في إجاباته: إن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك، فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ وليس كذلك في نفس الأمر.

فعلى قول الجمهور ببطلان قصة الغرانيق المزعومة الذي نجزم به ونعتقده يكون معنى الآيات كما يلي:

كان الشيطان يلقي في قراءة كل رسول ونبي، ومنهم النبي محمد ﷺ ولكن الله تعالى يبطل ما يلقيه الشيطان.

وقد شاء الله تعالى ذلك ليكون امتحاناً للمنافقين

والمشركين ، وزيادة يقين للمؤمنين بما جاءهم من الحق
أما ماذا ألقى الشيطان في أمنية كل واحد منهم؟ ومتى؟
فلم يثبت بيانه بنص ولا هو مما يجوز القول فيه بالرأي ،
فلذلك نمسك قائلين: الله أعلم . . . .

أقول: لقد فسر العلماء هذه الآية تفسيراً جيداً، فكان الأولى بالقاضي كنعان أن يذكره، وهو ما يلي:

التفسير الصحيح للآية

إن أحسن ما قيل في تفسيرها هو ما اختصره الدكتور أبو شهبة في كتابه: (الموضوعات والإسرائيليات في التفسير) حيث قال في تفسير الآية:

وللإجابة عن ذلك أذكر خلاصة ما ذكره الأستاذ الإمام (محمد عبده) في تفسيرها قال فيها وجهان:

الأول: أن التمني بمعنى القراءة إلا أن الإلقاء لا بالمعنى الذي ذكره المبطلون، بل بمعنى إلقاء الأباطيل والشبه مما يحتمله الكلام، ولا يكون مراداً للمتكلم، أو لا يحتمله، ولكن يدعى أن ذلك يؤدي إليه، وذلك من عمل المعاجزين، الذين دأبهم محاربة الحق، يتبعون الشبهة[1] ، ويسعون وراء الريبة، ونسبة الإلقاء إلى

---

(١) هذه الشُّبهة وردت في سورة الأنعام ذكرها ابن كثير في تفسيره ٢/١٧١ فقال عن ابن عباس في قوله:

الشيطان حينئذ لأنه مثير الشبهات بوساوسه، ويكون المعنى: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا حدَّث قومه عن ربه، أو تلا وَحياً أنزل الله فيه هداية لهم، قام في وجهه مشاغبون يتقولون عليه ما لم يقله، ويحــرفـون الكلم عن مواضعـه، وينشـرون ذلـك بين الناس ؛ ولا يزال الأنبياء يجادلونهم ويجاهدون في سبيل الحق، حتى ينتصر، فينسخ الله ما يلقي الشيطان من شبه، ويثبت الحق، وقد وضع الله هذه السنة في الخلق

= ﴿ وإن **الشياطين لَيُوحون إلى أوليائهم**﴾ يقولون: ما ذبح الله فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم فكلوه، فأنزل الله:

﴿**ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه**﴾

قال ابن كثير وهذا إسناد صحيح. (ذبح الله: أمات الله).

وقـال السـدى في تفسـير هذه الآيـة: إن المشركين قالوا للمسلمين كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضات الله، فما قتل الله فلا تأكلونه، وما ذبحتم أنتم تأكلونه؟ فقال الله تعالى: ﴿**وإن أطعتموهم**﴾ في أكـل الميتـة ﴿**إنكم لمشـركـون**﴾وهكـذا قال مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف.

وقوله تعالى: ﴿**وإن أطعتموهم إنكم لمشركون**﴾ أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك كقوله تعالى:

﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**﴾«التوبة : ٣٤ »

ليتميز الخبيث من الطيب، فيفتتن ضعفاء الإيمان الذين في قلوبهم مرض، ثم يتمحص الحق عند أهله، وهم الذين أوتوا العلم، فيعلمون أنه الحق من ربهم، وتخبت له قلوبهم.

الثاني: أن التمني: المراد به: تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما كان ويكون، والأمنية من هذا المعنى: وما أرسل الله من رسول، ولا نبي ليدعو قومه إلى هدى جديد، أو شرع سابق إلا وغاية مقصوده، وجُل أمانيه، أن يؤمن قومه، وكان نبينا من ذلك في المقام الأعلى:

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾. «الكهف آية ٥»

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ «يوسف ١٠٣»

ويكون المعنى: وما أرسلنا من رسول ولا نبي، إلا إذا تمنى هذه الأمنية السامية ألقى الشيطان في سبيله العثرات، وأقام بينه وبين مقصده العقبات ووسوس في صدور الناس، فثاروا في وجهه، وجادلوه بالسلاح حيناً وبالقول حيناً آخر، فإذا ظهروا عليه والدعوة في بدايتها، ونالوا منه وهو قليل الأتباع، ظنوا أن الحق في

جانبهم، وقد يستدرجهم الله جرياً على سنته : يجعل الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالاً، فينخدع بذلك الذين في قلوبهم شك ونفاق، ولكن سرعان ما يمحق الله ما ألقاه الشيطان من الشبهات، ويُنشيء من ضعف أنصار الحق قوة ، ومن ذلهم عزة، وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى ليعلم الذين أوتوا العلم أن ما جاء به الرسل هو الحق، فتُخبت له قلوبهم، وإن الله لَهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم.

هذا هو الحق: وما عدا ذلك فهو باطل.

تفسير رائع للعلامة الشنقيطي

لقد فسر العلامة محمد الأمين الشنقيطي الآية تفسيراً رائعاً فقد ذكر في تفسيره: (أضواء البيان) جـ٥/ ٧٣٢/ ما نصه:

ونحن وإن ذكرنا أن قوله: ﴿**فينسخ الله ما يُلقي الشيطان**﴾ يستأنس به لقول من قال: إن مفعول الإلقاء المحذوف تقديره: ألقى الشيطان في قراءته ما ليس منها، لأن النسخ هنا هو النسخ اللغوي، ومعناه الإبطال والإزالة من قولهم: نسخْت الشمسُ الظل، ونسخت الريح الأثر، وهذا كأنه يدل على أن الله ينسخ شيئاً ألقاه الشيطان، ليس مما يقرؤه الرسول

أو النبي، فالذي يظهر لنا أنه الصواب وأن القرآن يدل عليه دلالة واضحة، وإن لم ينتبه له من تكلم على الآية من المفسرين: هو أن ما يُلقيه الشيطان في قراءة النبي الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها، كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر، أو أساطير الأولين، وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عنده.

والدليل على هذا المعنى: أن الله بيَّن أن الحكمة في الإلقاء المذكور امتحان الخلق، لأنه قال:

﴿ليجعل ما يُلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض﴾

ثم قال: **﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتُخبت له قلوبهم﴾**

فقوله: **﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق﴾** الآية.

يدل على أن الشيطان يلقي عليهم، أن الذي يقرأه النبي ليس بحق فيصدقه الأشقياء، ويكون ذلك فتنة لهم، ويكذبه المؤمنون الذين أوتوا العلم، ويعلمون أنه الحق لا الكذب كما يزعم لهم الشيطان في إلقائه. فهذا الامتحان لا يناسب شيئاً زاده الشيطان من نفسه في القراءة، والعلم عند الله تعالى.

وعلى هذا القول، فمعنى نَسخُ ما يلقي الشيطان: إزالته وإبطاله، وعدم تأثيره في المؤمنين الذين أوتوا العلم.

ومعنى يُحكم آياته: يُتقنها بالإحكام، فيُظهر أنها وحي

منزل منه بحق، ولا يؤثر في ذلك محاولة الشيطان صدَّ الناس عنها بإلقائه المذكور، وما ذكره هنا من أنه يُسلِّط الشيطان فيلقي في قراءة الرسول والنبي فتنة للناس ليظهر مؤمنهم من كافرهم.

بذلك الامتحان، جاء موضحاً في آيات كثيرة قدمناها مراراً كقوله: ﴿**وما جعلنا أصحابَ النار إلا ملائكةً وما جعلنا عِدَّتهم إلا فتنةً للذينَ كفروا ليستيقن الذينَ أُوتوا الكتابَ والمؤمنونَ، ولِيقول الذينَ في قلوبِهِم مرضٌ والكافرونَ ماذا أراد الله بهذا مثلاً، كذلك يُضلُّ الله مَن يشاءُ ويهدي مَن يشاء**﴾ «المدثر ٣١»

وقوله تعالى: ﴿**وما جعلنا القبلةَ التي كنتَ عليها إلا لنعلَمَ مَنْ يَتَّبع الرَّسولَ مِمَّن ينقلبُ على عقِبَيْهِ**﴾ «البقرة: ١٤٣»

وقوله: ﴿**وما جعلنا الرؤيَا التي أريناكَ إلا فِتنةً للناس والشجرةَ الملعونةَ في القرآن**﴾ أي لأنها فتنة، كما قال: ﴿**أذلكَ خيرٌ نُزلاً أم شجرةُ الزقُّوم إنا جعلناها فتنةً للظالمينَ إنها شجرةٌ تخرجُ في أصلِ الجحيمِ**﴾ الآية. «الصافات ٦٣ - ٦٤» لأنه لما نزلت هذه الآية قالوا: ظهر كذب محمد ﷺ لأن الشجر لا ينبت في الموضع اليابس، فكيف تنبت شجرة في أصل الجحيم إلى غير ذلك من الآيات، كما تقدم إيضاحه مراراً.

والعلم عند الله تعالى.

واللام في قوله: ﴿ليجعل ما يُلقى الشيطانُ﴾ الآية. الأظهر أنها متعلقة بألقى أي ألقى الشيطان في أُمنيَّة الرسل والأنبياء، ليجعل الله ذلك الإلقاء فتنة للذين في قلوبهم مرض، خلافاً للحوفي القائل: إنها متعلقة بـ (يُحكم)، وابن عطية القائل: إنها متعلقة بـ (ينسخ).

ومعنى كونه: فتنة لهم أنه سبب لتماديهم في الضلال والكفر.

وقوله: ﴿ليجعل ما يُلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرضٌ﴾ أي كفر وشك. (انتهى..).



قصة ثعلبة غير صحيحة

٢٥٤ - ذكر المفسر السيوطي في الجلالين عند قول الله تعالى:

﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصَّدقَنَّ ولنكونن من الصالحين﴾ « التوبة ٥٧ »

هو ثعلبة بن حاطب

علق القاضي كنعان على كلامه فقال:

- قوله: (وهو ثعلبة بن حاطب إلخ)إن هذه القصة التي أشار إليها السيوطي والتي قيل إن هذه الآيات نزلت فيها، هي قصة متداولة على الألسن نقلها بعض المفسرين كما رويت ولم ينكروا نسبتها إلى ثعلبة مثل ابن كثير[1] والسيوطي هنا وفي (الدر المنثور) وغيرهما ونقلها آخرون وتعقبوها بالنقد واستبعدوا نزولها في حق صحابي شهد معركة بدر.

فقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) رواه الطبراني وفيه علي

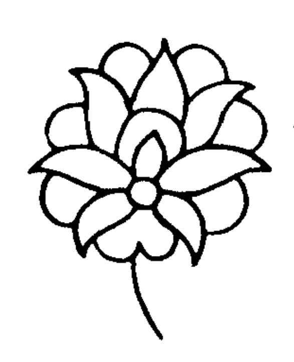
(١) ذكر القصة ابن كثير بسندها ولم يُصححها، وذكرها الصابوني في المختصر بعد حذف سندها معتقداً صحتها كما أنه أوردها في تفسير (صفوة التفاسير) ونسبها إلى (ثعلبة) وذكر في المختصر (ثعلبة بن حاطب).

ابن يزيد الألهاني وهو متروك إ - هـ
وقال الحافظ ابن حجر في (تخريج أحاديث الكشاف): أخرجه الطبراني، والبيهقي في (الدلائل) و(الشعب) وابن أبي حاتم والطبري وابن مردويه كلهم من طريق علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة، وهذا إسناد ضعيف جداً
وقال مثل ذلك في كتابه (الإصابة) وقال القرطبي في تفسيره بعد أن أورد القصة: قلتُ: وثعلبة بدري، أنصاري، وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان، فما روي عنه غير صحيح .
وقال الضحاك: نزلت في رجال من المنافقين هم: نَبْتَلُ ابن الحارث، وجَدُّ بن قيس [٢] ومُعتبُ بن قشير: وهذا أشبه في نزول الآية فيهم إ-هـ فالصواب أنها لم تنزل في ثعلبة بن حاطب ولا في غيره من المسلمين، والقصة المشار إليها مردودة لا يصح قبولها، فإن كانت هذه الآيات قد نزلت في أُناس بعينهم فهم منافقون أصلاً،

---

(٢)ذكر ابن حجر في الإصابة عند ترجمة: جَدُّ بن قيس، من طريق الضحاك: أنه نزل فيه قوله تعالى:
﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾ « التوبة ٤٩ »

والدليل على ذلك سياق الآيات التي جاءت تُبيِّن أفعال المنافقين «اقرأ الآيات ٧٣ - ١١٠» وأيضاً نص هذه الآية فقوله تعالى: ﴿ومنهم﴾ يعني: ومن المنافقين أي: عندما عاهدوا الله كان كل واحد منهم منافقاً، ولم يكن مؤمناً ثم نافق بنقضه العهد وقوله ﴿فأعقبهم﴾ أي الذين نقضوا العهد وهذا يعني أنهم جماعة ولو كان واحداً لقال (فأعقبه) وبذلك يتبين لنا رجحان قول الضحاك ابن مزاحم رحمه الله تعالى أنها نزلت في رجال من المنافقين كما تقدم وأنه لا علاقة لثعلبة بن حاطب رضي الله عنه بهذه القصة ولا لأحد من المسلمين الصادقين.



العرش غير الكرسي

٧١٩ - ذكر المحلي في تفسير قول الله تعالى:
﴿ثم استوى على العرش﴾ الكرسي[١] استواء يليق به.
علق القاضي على هذا التفسير فقال:
(١) قوله: (الكرسي) جرى الجلالان السيوطي والمحلي رحمهما الله على القول بأن «العرش والكرسي» شيء واحد، والصحيح أن العرش غير الكرسي وأكبر منه.

معنى ﴿ لا إكراه في الدين ﴾

٥٣ - ذكر المحلي في تفسير قول الله تعالى:
﴿لا إكراه في الدين﴾[٢] على الدخول فيه
علق القاضي على هذا التفسير فقال:
(٢) - قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾:
١ - قال الإمام أبو جعفر النحاس المتوفى عام ٣٣٨ في ناسخه قولاً سديداً في هذه الآية ما يلي:
من العلماء من قال إنها منسوخة، لأن النبي ﷺ قد

(١) الحديد (٢) البقرة ٢٥٦

أكــره العــرب على الإســلام وقــاتلهم ولم يــرض منهم إلا الإسلام.

٢ - وقال بعض العلماء: ليست بمنسوخة، ولكنها نزلت في أهل الكتاب، لا يُكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية، والذين يكرهون هم أهل الأوثان، فهم الذين نزل فيهم قوله تعالى:

﴿يا أيها النبي جاهد الكفار﴾ « التحريم ٩ »

واحتـج لذلـك بأن عمـر بن الخطـاب رضي الله عنه قال لعجوز نصرانية: أسلمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله تعالى بعث محمداً بالحق.

قالت: أنا عجوز كبيرة والموت إليَّ قريب.

قال عمر: اللهم اشهد، ثم تلا: ﴿لا إكراه في الدين﴾

٣ - وممن قال إنها مخصوصة ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تُهوِّده، فلما أُجليتْ بنــو النضـير كان فيهم من أبنـاء الأنصـار. قالت الأنصار: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله هذه الآية. وقــول ابن عبــاس في هذه الآيـة أولى الأقـوال لصحـة إسناده، وإن مثله لا يقال بالرأي أ-هـ

تبرئة آدم وحواء من الشرك

٢٢٤ - قال الله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها، فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرَّت به، فلما أثقلت دعَوَا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين، فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون، أيُشركون مالا يخلق شيئاً وهم يُخلقون﴾«الأعراف ١٨٩»

قال المفسر السيوطي في الجلالين:

﴿فلما آتاهما﴾ ولداً ﴿صالحاً جعلا له شركاء﴾ أي شريكاً ﴿فيما آتاهما﴾ بتسميته عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله، وليس بإشراك في العبودية لعصمة آدم . روى سمرة عن النبي ﷺ قال:

(لما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال سَمِّيه (عبد الحارث) فإنه يعيش، فسمته فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره)

«رواه الحاكم وقال صحيح، والترمذي وقال حسن غريب»

قال القاضي كنعان تعليقاً على هذا التفسير:

١ - قوله تعالى: ﴿جعلا له شركاء﴾ اختلف المفسرون في الشرك الوارد في هذه الآية: فقال بعضهم: إن الكلام في

آدم وحواء وفسروا الشرك بأنه تسميتهما الولد «عبد الحارث» لا في الصفة والربوبية، واحتجوا على ذلك بالحديث الذي ذكره السيوطي هنا، ورواه الحاكم والترمذي.

٢ - وقال آخرون: إن ما في الآيتين لا يعني آدم وزوجه، بل يعم جنس الآدميين، ويبين حال المشركين من ذريتهما، وهذا الذي يُعول عليه، فقوله تعالى: ﴿**جعلا له**﴾ يعني الجنسين أي: الذكر والأنثى الكافرين. دل على هذا قوله تعالى بعد ذلك: ﴿**فتعالى الله عما يشركون**﴾ ولم يقل (**الشركاء**).

٣ - قال القرطبي: هذا حسن.

٤ - وروى ابن كثير في تفسيره عن قتادة قال:

كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهوَّدوا ونصَّروا، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن البصري رحمه الله أنه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية.

ثم بعد أن بين ما في الروايات التي فيها ذكر آدم وحواء علل وما عليها من مآخذ قال ابن كثير:

وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته. أ-هـ

الليلة المباركة ليلة القدر

قال المحلي في تفسير قول الله تعالى:

﴿**إنا أنزلناه في ليلة مباركة**﴾ هي ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان[1]

علق القاضي كنعان على هذا التفسير فقال:

(١) قوله في الموضعين: (أو في ليلة النصف من شعبان) هذا قول مرجوح، والصحيح أن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وليست ليلة النصف من شعبان (وجمهور العلماء على أنها ليلة القدر، وفيهم من قال: ليلة النصف من شعبان وهو باطل، لأنه تعالى قال في كتابه الصادق: ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**﴾«البقرة ١٨٥» فدل على أن ميقات نزوله رمضان، ثم عيّن من زمانه الليل ها هنا بقوله: ﴿**في ليلة مباركة**﴾ فمن زعم أنه في غيره فقد أعظم الفرية على الله، وليس في ليلة النصف حديث يُعوَّل عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها فلا تلتفتوا إليها)

«انتهى كلام أبو بكر ابن العربي الذي نقله كنعان ٦٥٦»

الأموات لا يسمعون

علق القاضي كنعان على قول الله تعالى:

﴿فإنك لا تُسمع الموتى ولا تُسمع الصم الدعاء﴾

« الروم ٥٢ »

اختلفوا في سماع الأموات، فقال بعضهم بسماعهم وفهمهم كلام الأحياء، واستدلوا على ذلك بحديث سؤال الملكين في القبر الذي رواه الشيخان وفيه: (**إنه ليسمع قرع نعالهم**)، وبقوله ﷺ للصحابة الذين قالوا له وهو يخاطب قتلى بدر: أتخاطب أقواماً قد جَيّفوا؟

(ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا ينطقون)

وقالت السيدة عائشة، وعدد كبير من العلماء منهم: القاضي عياض المالكي، وأبو يعلى محمد بن الحسين الفراء، وغيرهم: إن الأموات لا يسمعون، واستدلوا بالآية الكريمة، وأمثالها التي تصرح بذلك، وخصوا الحديث الأول بأن الوضع في القبر مقدمة للسؤال جمعاً بينه وبين الآية التي شُبه الكفار فيها بالموتى لإفادة بُعد سماعهم الذي هو فرع عدم سماع الموتى، وقالوا في حديث قتلى بدر: إن ذلك معجزة للنبي ﷺ ففي صحيح البخاري عن قتادة السدوسي

قال: أحيـاهم الله تعـالى حتى أسمعهم قولـه ﷺ توبيخـاً وحسرة وندامة. وقد اتفق فقهاء الحنفية على أن الميت لا يسمع ولا يفهم، فالصحيح أن الأموات لا يسمعون إلا في الحالات التي أثبتت الأحاديث النبوية سماعهم فيها، كما جاء في الحـديثـين المـذكـورين وغيرهما من الأحاديث.

« انظر قرة العينين على تفسير الجلالين »

أقول : هناك كتاب جيد في هذا الموضوع وهو: (الآيـات البينـات في عدم سماع الأمـوات عنـد الحنفيـة السـادات) تأليف العـلامـة نعـمان ابن المفسـر الشهير محمود الألوسي حققه وقدم له، وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني (المكتب الإسلامي).



إعلان الحرب على فاعل الربا

قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلَمون**﴾ «البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩»

١- ذكر السيوطي في تفسير الآية فقال:

﴿**فإن لم تفعلوا**﴾ ما أمرتم به (من ترك الربا) ﴿**فأذنوا**﴾ فاعلموا ﴿**بحرب من الله ورسوله**﴾ لهم، فيه تهديد شديد لهم، ولما نزلت قالوا: لا يدَيْ لنا بحربه.

٢-علق القاضي كنعان تعليقاً جيداً حين قال:

قوله: لا يدي لنا بحربه أي لا قدرة ولا طاقة لنا بحربه والقائل قبيلة ثقيف، ونص مقالتهم كما نقلها البيضاوي: (لا يدي لنا بحرب الله ورسوله)

وقد أجمع المسلمون على تحريم الربا قليله وكثيره، وأنه من كبائر الذنوب.

عن جابر رضي الله عنه: قال: (**لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء**)

« رواه مسلم »

(هم سواء) أي في الإثم واستحقاق اللعنة (وهي الطرد من رحمة الله).

ولا يغير من الأمر شيئاً أن يسمى الربا ـ احتيالاً ـ فائدة، أو رَيعاً، أو فائضاً، أو غير ذلك من الأسماء والأوصاف، فإن هذا مخادعة لا يقع فيها إلا فاعلها، فالربا حرام إلى يوم القيامة، تحريماً لا يؤثر فيه إبدال اسم مكان اسم. ثم إن في تحريم الربا مع إيجاب الزكاة في نفس الوقت ما يدفع صاحب المال إلى تشغيل ماله وعدم كنزه، وتشغيل المال يؤدي إلى الإكثار من فُرص العمل، وإلى زيادة الإنتاج، فتنتهي بذلك مشكلة البطالة، وتكثر السلع فترخص الأسعار ويعم الناس الرخاء، والبحبوحة.

أما النظام الربوي، فإنه يشجع على تجميد الأموال في المصارف، وهذا التجميد تعطيل لدور المال في تحريك عجلة الحياة

«قرة العينين ص ٥٩»



الربا الحلال في الزيادة في الهدية

قال الله تعـالى: ﴿**ومـا آتيتم من ربـاً لِيربُـوَا في أمـوال الناس، فلا يربوا عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المُضعفون**﴾ « الروم ٣٩ »

علق القاضي كنعان على الآية تعليقاً جيداً حين قال:

الربا في اللغة: الزيادة، وكل معاوضة فيها زيادة أحد العوضين فهي في اللغة «ربا». والربا نوعان: حرام وحلال. فالحـرام هو الـربـا المعلوم عنـد الإطـلاق أي ربـا البيـع أو الصـرف. أمـا الحـلال منـه فهي الـزيـادة الناتجة عن الهدية المعـروفـة بهديـة الثـواب، أو هبـة الثـواب: وهي أن يهدي الإنسان هدية يلتمس من المُهدى إليه ما هو أفضل منها، فليس له فيها أجر، وليس عليه إثم. بهذا فسر ابن عباس وغيره هذه الآية « انظر ابن كثير »

(كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها)

« رواه البخاري »

فلا يحرم إهـداء شيء التـماسـاً لما هو أفضـل منـه، والآيـة الكريمة لا تفيد تحريم هذا النوع من الهدية أو الهبة، بل

هي حث على طلب الأفضل بجعل الهدية خالصة لوجه الله تعالى ـ هذا في حق جميع الأمة إلا رسول الله ﷺ فقد نهاه الله تعالى عن ذلك بقوله في سورة المدثر:

﴿ولا تمنُن تستكثر﴾ أي لا تعط شيئاً فتطلب أكثر منه، وهذا خاص بنبينا ﷺ لأنه مخصوص بأحسن الأخلاق وأشرف الآداب.

والهدية الخالصة لوجه الله تعالى هي من أخلاق المسلمين، فقد حث النبي ﷺ على التهادي لأنه يقوي المحبة بين المسلمين فقال : **(تهادوا تحابوا)**

« رواه النسائي وحسنه الحافظ ابن حجر »

ويجب الحذر في باب الهدية على كل ذي سلطان، فكثيراً ما تقدم الرشاوى وتؤكل تحت اسم (الهدية):

قال رسول الله ﷺ **(لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم)**

« صحيح رواه الترمذي وغيره »

وفي رواية **(لعن الله الراشي والمرتشي والرائش)**

[الذي يمشي بينهما وهو الواسطة]

« انظر قرة العينين على تفسير الجلالين ص ٥٣٥»

أقول : لقد حذر الإسلام من الهدايا التي تعطى للحكام والموظفين والعاملين في الدولة وغيرهم ممن له سلطة:

فقد قال البخاري في كتابه: (باب هدايا العمال):

قال استعمـــل النبي ﷺ رجـلاً من بني أسـد يقـال له ابن اللُّتبية على صدقة ، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدي لي، فقام النبي ﷺ على المنبر، قال سفيان أيضاً فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(ما بال العامل نبعثه فيأتي يقول: هذا لك وهذا لي؟ فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيُهدى له أم لا؟ فوالذي نفسي بيده. لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيراً له رغاء، أو بقرة لها جؤار، أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه ألا هل بلغت ثلاثاً)

« رواه البخاري »

[الرغاء: صوت البعير، والجؤار: الخوار لصوت البقر.]

[شاة تيعر: تخرج صوتاً]





احذروا الصفير والتصفيق

قال الله تعالى: يصف عبادة المشركين:

﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكاء وتصدية﴾

«الآية الأنفال **٣٥**»

علق القاضي كنعان على قوله **(إلا مكاء وتصدية)**

١ - قال القرطبي في تفسيره: قال ابن عباس:

كانت قريش تطوف بالبيت عراة يصفقون، فكان ذلك عبادة في ظنهم.

وفي معنى الآيـة رد على الجهـال من المتصـوفة الـذين يرقصون ويصفقون ويصعقون، وذلك كله منكر يتنزه عن مثله العقلاء، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت. انتهى

٢ - وقال السيوطي في **(الإكليل)**:

ففيه ذم التصفيق والصفير بالفم أو القصب.

٣ - وقال ابن حجر الهيتمي في **(كف الرعاع)**

قال ابن عبد السلام:

أمـا الـرقص والتصفيق فخفـة ورعـونـة لا يفعلهمـا إلا أرعـن (أي: أحمق)أو متضع جاهل.

ويدل على جهالة فاعلهما أن الشريعة لم ترد بهما في كتاب ولا سنة، ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء، ولا معتبر من أتباع الأنبياء، وإنما يفعله الجهال السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء. انتهى.

٤ - والتصفيق: جائز للنساء فقط إذا سها الإمام لقوله ﷺ **(التسبيح للرجال والتصفيق للنساء)**

«رواه البخاري»

وذلك بأن تضرب بباطن كف اليمنى على ظاهر كف اليسرى.

أما التصفيق خارج الصلاة فهو مكروه، ولو كان استحساناً أو تأييداً، لكان للرجال وللنساء على السواء.

« قرة العينين ص ٣٢ »

٥ - قال (محمد بن جميل زينو) : يجب على المسلمين أن يبتعدوا عن المكاء: وهو الصفير، وعن التصدية وهو التصفيق، ففيه تشبه بالمشركين، والفساق، والنساء، وإذا أعجبهم أمر فليقولوا: (ما شاء اللّه أو سبحان اللّه).

وقد رأيت في المسجد منشدا يصفق في الذكر، فنصحته بلطف، فقال: إن النغم لا يستقيم معه إلا بالتصفيق، والعجيب أن رجلاً عالماً كان يسمع التصفيق ولا ينكره، وسيتحمل وزره يوم القيامة.

هل يجوز الفرار من القتال؟

قال الله تعـالى : **﴿يـا أيهـا الـذين آمنـوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تُولوهم الأدبار. ومَن يُولِّهم يومئذ دُبُره إلا مُتَحرفاً لقتال، أو مُتَحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله، ومأواه جهنم وبئس المصير﴾**

« الأنفال ١٥ - ١٦ »

١ - علق القاضي كنعان على تفسير السيوطي فقال:

قوله: (وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعف) أي فلا يحرم التولي، وهذا قول الشافعي رحمه الله.)

قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب، وابن حجر الهيتمي في الزواجر:

كان الشافعي رضى الله عنه يقول:

إذا غزا المسلمون فلقوا ضِعفهم من العدو حرم عليهم أن يُولّوا إلا مُتحرِّفين لقتال،أو مُتَحيزين إلى فئة، وإن كان المشـركـون أكثـر من ضعفهم لم أحب لهم أن يُولّـوا، ولا يستوجبون السخط عندي من الله لو ولَّوا عنهم على غير التحـرف للقتـال أو التحيـز إلى فئـة، وهـذا مذهب ابن عباس المشهور عنه . انتهى.

٢ ـ فقد قال ابن عباس:

(إن فرَّ رجــل من رجلين فقــد فرَّ، وإن فرَّ من ثلاثــة لم يَفِر).

قال أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن:

(وهذا الحكم عندنا - أي الأحناف ـ ثابت مالم يبلغ عدد جيش المسلمين اثني عشر ألفا، لا يجوز لهم أن ينهزموا عن مثيلهم إلا متحرفين لقتال، أو متحيزين إلى فئة من المسلمين يقاتلونهم معهم).

قال محمد بن الحسن: صاحب أبي حنيفة:

(إن الجيش إذا بلغوا اثني عشر ألفاً فليس لهم أن يفروا من عدوهــم وإن كثــر عدوهــم، ولم يذكــر خلافــاً بين أصحابنا فيه.

ونقل الجصاص عن الإمام مالك مثل قول محمد بن الحسن.

ونقول: أما في أيامنا فلم يبق لعدد الجند في الجيوش من تلك الأهميــة الــتي كانــت له في المــاضي، بل أصبحت الآلات والأسلحة الحربية هي المهمة في الحروب بحسب نوعها وكميتها، فينبغي اعتبار ذلك عند الكلام عن الفرار من القتال في زماننا. انتهى

« قرة العينين ص **٢٢٩** »

محتـويات الكتـاب

رســالتنا

* الدعوة للرجوع إلى الكتاب الكريم والسنة الصحيحة في كل ما يتعلق بالفقه والعقيدة وفهمهما على النهج الذي كان عليه السلف الصالح.
* إحياء نفائس تراث الأمة الإسلامية وطباعة ونشر وتيسير الكتب العلمية والأدبية والثقافية للكتُّاب المعروفين بدينهم وعقيدتهم وللطلاب والباحثين في مختلف مجالات العلوم والمعارف والخبرات في منطقة الخليج وغيرها .
* تحذير المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره وكشف الشبهات والبدع والأهواء والإنحرافات والزيغ والجهل الذي ران على الأمة الإسلامية ومقاومة الأفكار والأساليب والنظم الدخيلة التي شوهت جمال الإسلام .
* ترجمة الكتب والرسائل الخادمة للدين والعقيدة والمثرية للثقافة والعلم من العربية وإليها .
* بهدف نشر العلم النافع تقوم دار الفتح بتوزيع منشوراتها بأسعار ميسرة ومناسبة للجميع .



دار الفتح
للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف المطبعة : ٣٢٢٣٠٨ ـ هاتف النشر : ٣٢٦٠١٨ ـ ٠٦.
فاكس رقم: ٣٢٢٥٢٦، ٣٢٦٨٣٨ ـ ٠٦ ص. ب: ٢٣٤٢٤ الشارقة ـ إ.ع.م